«الزيارة» يثبّت أقدام السوري عمرو علي في عالم الإخراج السينمائي

يعاني خريجو معاهد السينما من السوريين قلة الإنتاج، إن لم نقل انحساره. فقلة قليلة منهم تحظى بفرصة سينمائية حقيقية. بينما الأغلبية قد لا تأتيهم أو ربما تأتيهم على شكل درامي بعيد إلى حد ما عن لغة السينما. ويعتبر عمرو علي واحدا من المخرجين الشباب القادمين من عالم السينما، والذي عرض فيلمه القصير الثالث "الزيارة" مؤخرا على منصة "أيام سينما دكة للفيلم القصير".

لمى طيارة
كاتبة سورية

دمشق – يعتبر فيلم "الزيارة" الفيلم الاحترافي الثالث للمخرج السوري عمرو علي، الذي انتهى من إنجازه مع بداية العام 2020، وكان من المقرّر أن يكون حاضرا في مهرجانين أحدهما في المغرب والآخر في روسيا، لكن جائحة كورونا أوقفت الحدثين، ليعرض الفيلم مؤخرا على منصة "أيام سينما دكة للفيلم القصير"، المنصة التي أنشئت بهدف دعم صُناع الأفلام من خلال إتاحة الفرص لعرض أفلامهم التي أنجزوها ومناقشتها مع مجموعة من السينمائيين.

وفيلم "الزيارة" من بطولة وفاء موصلي وعلي كريم، إلى جانب خالد شباط وريم نصرالله وغيرهم ومن إنتاج شركة العطار للإنتاج والتوزيع الفني، وتدور أحداثه حول قضية إنسانية باتت تعاني منها معظم الأسر السورية التي اضطرت لتسفير أولادها نتيجة الأحداث التي حلت بالبلد.

المخرج عمرو علي في فيلم «الزيارة» يتحدث عن عائلة سورية شتّتتها الحرب

ويسود العائلة جو من الكآبة والروتين المميت، بعد أن فارقها ابنها الوحيد، إلى أن يأتيها الضيف الهارب ليحتمي بها، ويغيّر حياتها أو على الأقل ليعيد لها رونقها الذي بهت.

وحاول المخرج عمرو علي إعطاء الفيلم نكهة سينمائية من خلال بعض اللقطات، إلاّ أنه ظهر في شكله النهائي أشبه بفيلم تلفزيوني منه إلى فيلم سينمائي، وعن السبب يقول عمرو "كانت شركة العطار بصدد التحضير لإنتاج عمل درامي تلفزيوني مؤلف من مجموعة خماسيات، وكان مخرج العمل يبحث عن نصوص تناسب تلك الخماسيات، فقدّمت كسيناريست نصين مختلفين لخماسيتين، ولكن المشروع توقّف بسبب خلاف ما بين المنتج والمخرج".

ويسترسل "حينها اقترحت على شركة الإنتاج مشروعا بديلا يمكن من خلاله إنتاج أفلام تلفزيونية أو ما يعرف في الدراما السورية بالسهرات التلفزيونية، على أن تنحصر مدتها الزمنية بين 30 و40 دقيقة، فوافقت الشركة على المشروع، خاصة أن تكلفتها الإنتاجية قليلة إلى حد ما، وممكن بيع تلك السهرات لمحطات تلفزيونية سورية محلية أو عربية في لبنان مثلا والعراق، بالإضافة إلى إمكانية عرضها لاحقا بشكل جماهيري في صالات سينما الكندي بدمشق التي تدعم هكذا تجارب، مع بعض الحظوظ للمشاركة به في المهرجانات السينمائية العربية".

ومن هناك كانت أول سهرة تلفزيونية بعنوان "الزيارة"، التي كتبها علي كفيلم روائي قصير بميزانية صغيرة وضمن لوكشن (مكان تصوير) واحد، الأمر الذي جعلها بشكل مباشر تبدو فيلما أقرب إلى التلفزيون منها إلى السينما.

وكان عمرو علي قد تخرّج من معهد السينما في القاهرة في العام 2016، عبر مشروعه "الغيبوبة"، وهو الفيلم الروائي القصير الذي قدّمه للجمهور كمخرج محترف، محاولا خلال 16 دقيقة من زمن الفيلم الإضاءة على قصة إنسانية بلغة سينمائية شاعرية، ولكن على بساطتها قدّمت فيلما سيبقى واحدا من أهم أفلام مسيرته الفنية.

وتدور أحداث الفيلم الذي كان شبه صامت، لأن المخرج اكتفى فقط بجملة أو جملتين، حول شاب يرعى والده المسن وهو في حالة غيبوبة، الأمر الذي تطلب منه التفرّغ التام لتلك الخدمة، ولاحقا لبيع أثاث المنزل قطعة وراء قطعة، ليتمكن من تلبية حاجاته.

واستطاع عمرو علي، عبر تلك التجربة الصغيرة، أن يقتنص فرصا هامة في المهرجانات السينمائية وأن يطرح نفسه كمخرج جديد قادم إلى الساحة السينمائية، ليس هذا فحسب، بل وأن ينال عنه جوائز، كجائزة أفضل فيلم قصير في مهرجان مالمو للسينما العربية وأيضا روتردام للفيلم العربي، وجائزة أفضل تمثيل بمهرجان الدار البيضاء للفيلم القصير والوثائقي، بالإضافة إلى أن الفيلم عرض في أيام قرطاج السينمائية وفي سوق مهرجان دبي.

وعشق عمرو علي للفن وللسينما لم يبدأ من لحظة التحاقه بمعهد السينما، وفيلم "الغيبوبة" ليس أولى تجاربه في الإخراج، ولكنه التجربة السينمائية الاحترافية الأولى له، فلقد سبق لهذا الشاب أن غامر برفقة والده المخرج السوري حاتم علي في العام 2008، أي قبل أن يبلغ العشرين من عمره، في إخراج وإنتاج فيلم روائي قصير بعنوان "8 ملم".

يقول عمرو "كنت في تلك الفترة من هواة نادي السينما الذي أسّس في المركز الثقافي الفرنسي، أشاهد أفلامه باستمرار، الأمر الذي جعلني ألتقي بالعديد من المخرجين السوريين وخاصة المتخرجين منهم من معاهد السينما في الخارج، مثل نضال حسن وجود سعيد وغيرهما، كما كان والدي حينها يؤسّس لشركة 'صورة' للإنتاج الفني، فتعرّفت على زياد كلثوم الذي كان يعمل مساعد مخرج، وعرفني بدوره على صديقه طلال ديركي، وكان زياد وطلال يعملان على أفلام روائية قصيرة، ضمن مؤسّسة السينما وخارجها، فكتبت سيناريو فيلم بمشاركة من زياد، وتبنته إنتاجيا شركة صورة، وقمت بإخراجه، ولكني لا أذكر تلك التجربة عادة".

وعرض فيلم "8 ملم" الذي كان مجرد مغامرة لشاب صغير، ضمن الأفلام الروائية القصيرة لمهرجان دمشق السينمائي، كما عرض في مهرجان نانت لأفلام القارات الثلاث بفرنسا، ومهرجان مؤنس للأفلام الحب في بلجيكا، بالإضافة إلى بعض المهرجانات المحلية.

واتجه عمرو علي كغيره إلى الدراما التلفزيونية، فعمل مساعد مخرج، ومخرج وحدة تصوير في عدة أعمال درامية، منها مسلسل "أوركيد" مع المخرج حاتم علي، ومسلسل "المهلب" مع المخرج محمد لطفي، ومسلسل "حرملك" مع المخرج تامر اسحق، وكان قد حالفه الحظ في العام 2018 بفرصة فيلم في المشروع الذي تبناه الاتحاد الأوروبي، بهدف تمكين المرأة السورية، فقدّم فيلما روائيا قصيرا بعنوان "اليقظة" من بطولة جلال شموط وإيناس زريق، ورغم أن الفيلم لم يصوّر بطريقة سينمائية وإنما بطريقة الديجتال، إلاّ أنه شارك أيضا في العديد من المهرجانات ونال بعض الجوائز.

قصة إنسانية عن الفقد وأوجاعه

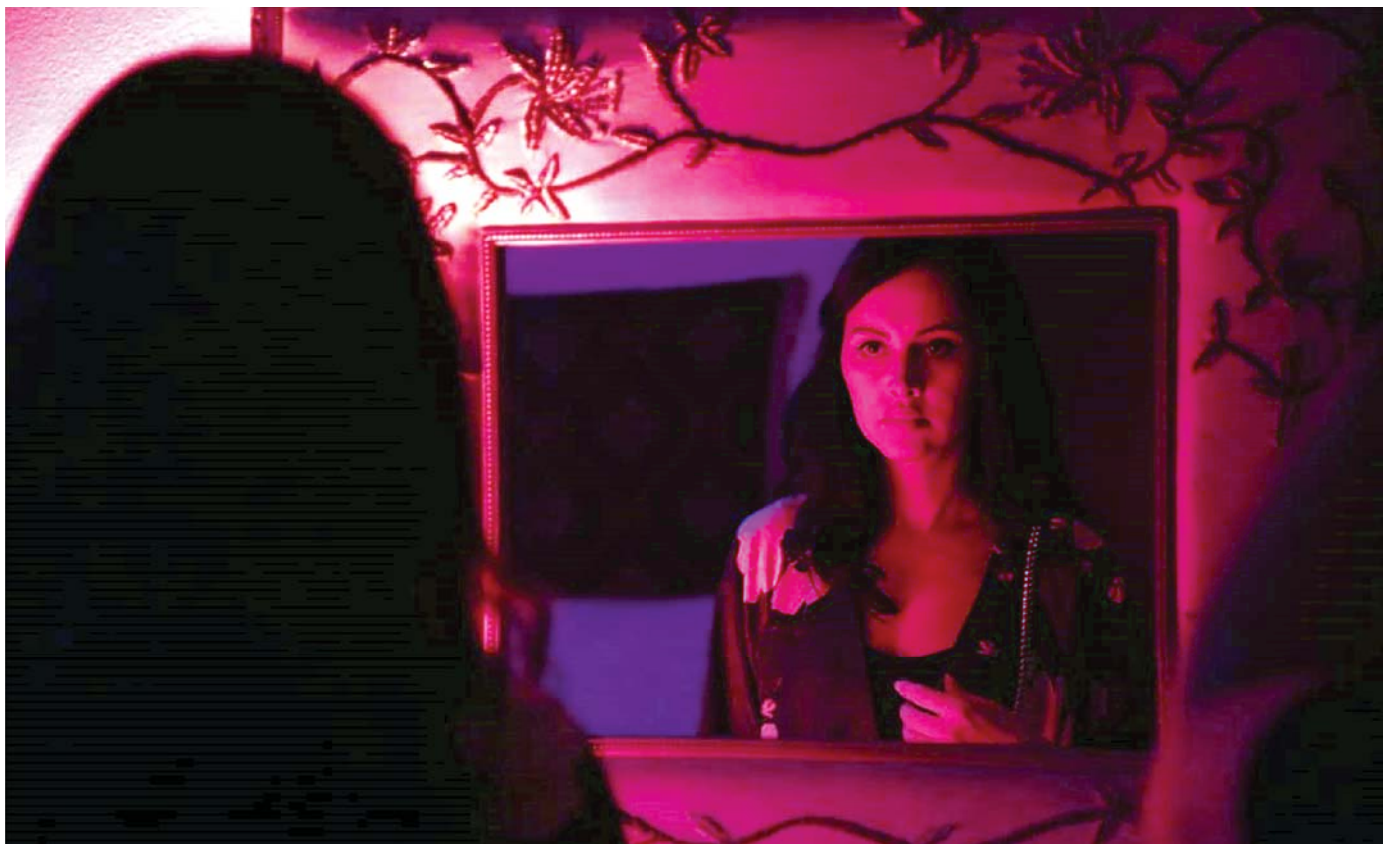

طرح خال من الواقعية

الاستسهال يُطيح بأحلام المصريين لإنجاز أفلام رعب بمواصفات عالمية

فيلم «الحارث».. غواية الشيطان محكومة بموافقة الإنسان وقبوله

حاولت السينما المصرية مرات كثيرة أن تُدخل ثيمة الرعب إلى شاشتها، حيث قام الفنان يوسف وهبي في أربعينات القرن الماضي ببطولة فيلم "سفير جهنم" وتأليفه وإخراجه حيث تعرّض للعلاقة بين الإنسان والشيطان. وتكرّرت المحاولات والتجارب لكنها لم تحظ بالنجاح الكافي، ليظهر فيلم "الحارث" أخيرا ساعيا إلى إعادة التجربة من جديد.

حنان عقيل
كاتبة مصرية

العلاقة بين الإنسان والشيطان من الأدوات المفضلة لصناع أفلام الرعب في مصر، ربما لكونها تشكل هاجسا لدى قطاعات واسعة لا تستطيع أن تجد لها تفسيرا مقنعا أو واضحا تعزّز به رغبتها في طرق هذا الباب.

تكرّرت التجارب المستندة إلى الأسلوب ذاته في أفلام، أشهرها "موعد مع إبليس" الذي قام ببطولته الفنان محمود المليجي والفنان زكي رستم، وفيلم "الإنس والجن" الذي قام ببطولته الفنان عادل إمام والفنانة يسرا.

> الإضاءة الخافتة التي عزّزت من الإحساس بمقصد الرعب، استخدمت بشكل متواتر في كل أحداث الفيلم دون مبرر

أسباب عدة اعتبرها صناع السينما عوائق تحول دون إنتاج أفلام رعب عربية مصحوبة بمستوى عالمي، ربما كان ضعف التقنيات والمؤثرات المستخدمة وما تتطلبه تلك النوعية من الأفلام من إنتاج ضخم أبرزها، وهو ما دفع صُناع فيلم "الحارث" إلى الاستعانة بخبرات من هوليوود لتصويره.

بيد أن عدم توافر كتّاب يجيدون كتابة سيناريوهات محكمة ومنطقية تستطيع جذب المشاهد وتقنعه كان سببا ثانيا أفقدته تسليط الضوء عليه بدرجة كبيرة، وهو إحدى المشكلات الرئيسية التي يمكن معاينتها في فيلم "الحارث" الذي عُرض مؤخرا على منصة "شاهد" الإلكترونية.

ينتمي الفيلم إلى فئة أفلام الرعب والإثارة والتشويق، وقام ببطولته أحمد الفيشاوي، وياسمين رئيس، وعلي الطيب، وكتب له السيناريو والحوار محمد إسماعيل أمين، وأخرجه محمد نادر.

كتابة الرُعب

يستند الفيلم إلى قصة حقيقية أضيفت إليها تفاصيل تُعزّز من حالة الإثارة والغموض، تبدأ الأحداث في واحة سيوة الواقعة في صحراء مصر الغربية، من خلال صوت يروي أسطورة "الحارث"، وهو الشيطان الذي ينزل في ليلة محددة من كل عام ليختار معشوقته التي ينجب منها نسلا يحرث الفساد في الأرض، ويعرض المشهد الأول الذي يدور في الثمانينات من القرن الماضي تحقّق تلك الأسطورة والتي نجمت عنها ولادة طفل من نسل شيطاني.

تنتقل الأحداث إلى العام 2012 إذ يزور الزوجان يوسف وفريدة (الفنان أحمد الفيشاوي وياسمين رئيس) واحة سيوة لقضاء شهر العسل، وتُروى لهم تلك الأسطورة عن ليلة يغيب فيها القمر، لأنها ليلة يبحث فيها إبليس عن معشوقته.

تحدث للبطلة مواقف غامضة لا تتوقّف أمامها لتنتهي فترة الإقامة بالمكان والانتقال إلى منزلهما في القاهرة، حيث تأتي الأحداث بعد مرور سنوات، في العام 2019، بعيادة الطبيب للسؤال عن سبب عجز ابنهما عن الكلام رغم سنوات عمره السبع وعدم وجود مشاكل عضوية لديه.

تتوالى الأحداث بعد ذلك كاشفة عن مشكلات وعدم تفاهم بين الزوج وزوجته وأصوات يتبعها الطفل حتى يلقى حتفه، لتُحمِّل الزوجة زوجها مسؤولية وفاة ابنهما، وتعيش حالة من الاضطراب تتعاظم مع ما تشاهده من مواقف وأشياء لا تستطيع تفسيرها، ولا يرى الزوج فيها سوى حالة من الاضطراب النفسي.

يتغيّر موقفه لاحقا ليؤمن بأن ثمة بعدا ميتافيزيقيا تسبّب في تلك الحوادث التي يمران بها، وأن الأسطورة التي ألقيت على مسامعهما منذ سنوات تتحقّق في حياتهما.

يروم الفيلم التعرّض لقضية إشكالية أزلية وهي حدود تأثير الشيطان على مسارات الإنسان واختياراته، ليؤكّد أن غواية الشيطان محكومة بموافقة الإنسان وقبوله، وستظل موجودة ومتزامنة مع وجود الإنسان على الأرض، لكنها تبقى محكومة بالخيارات الإنسانية، كما أن الفيلم وعبر شخصية البطل (الفيشاوي) يشدّد على فكرة أن حدود علم الإنسان تظل ضئيلة مقارنة بما لا يعرفه من أسرار الوجود.

المشكلة التي يمكن ملاحظتها منذ المشاهد الأولى في الفيلم والتي تتزايد في نصفه الثاني وحتى نهايته هي الحوار المهترئ بدرجة تجعل مشاهد الفيلم يخرج عن حالة الاندماج مع قصته ليركّز على منطقية الجمل الحوارية المستخدمة في بعض المواقف، لاسيما تلك المواقف التي تتطلب درجة عالية من الانفعال النفسي، وربما الانهيار، غير أنها جاءت في شكل حواري بارد وأجوف، فضلا عن أن السيناريو ضعيف وفشل في حياكة قصة محكمة ومتماسكة من الأسطورة التي بدأ بها الفيلم.

حبكة فنية مهترئة

لا تقدّم أجواء الرعب من خلال حبكة الفيلم، بقدر ما يتم التأكيد عليها من خلال الموسيقى والمؤثرات الصوتية والإضاءة، التي استخدمت أحيانا بشكل مكثّف دون داع درامي بغية الإيحاء بحالة الرعب رغم أن الحدث ذاته لا يثير الرعب، كما أن الإضاءة الخافتة التي عزّزت من الإحساس بمقصد الرعب في بداية العمل قد استخدمت بشكل متواتر في كل الأحداث تقريبا داخل المنزل دون داع.

> الفيلم الذي يستند إلى قصة حقيقية، يشدّد على فكرة أن حدود علم الإنسان تظل ضئيلة مقارنة بما لا يعرفه من أسرار الوجود

يمكن ملاحظة العديد من المشكلات في حبكة الفيلم، فإن كانت صورة الشجرة مع الثعبان استخدمت كمعادل مرئي بشكل جيد يعبر عن بداية غواية الشيطان للبشر واستمرارها في الحاضر والمستقبل، إلا أن التفاصيل الخاصة بالشخصيات الرئيسية تُستغل سينمائيا ويعاد التأكيد عليها في أكثر من حدث بشكل سطحي ورتيب.

كما أن شخصية صديقة البطلة التي تتنبأ في أحلامها بما يحدث لصديقتها وتموت في حادثة في نهاية الفيلم تمثل استسهالا في الكتابة، وانتفاء للمنطقية في صياغة حبكة الفيلم وشخصياته، فضلا عن أن شخصية الشيطان كمال (الفنان علي الطيب) لم تُمنح لها مساحة واسعة رغم أن موضوع الفيلم هو الشيطان "الحارث".

بالنسبة للتحوّل الدرامي داخل الفيلم، والمفترض أن البطل مرّ به، وهو تغيّر قناعاته من إيمان مطلق بالعلم وقدرته الكاملة على تفسير الأمور، فإنه ولّد قناعة بأن ما لا نعرفه أكثر بكثير ممّا نعرفه، وحدث بشكل ساذج وسريع وغير مبرر دراميا، كذلك الأحداث التالية جاءت متسارعة وغير مترابطة، وبدا فيها كأن الكاتب يريد أن يضع نهايته دون عناية بتأسيس منطقي لأحداث الفيلم.

ولأن الأسطورة تروى في بداية الفيلم ثم تتأكّد في مشاهده الأولى فإن درجة الغموض في الفيلم لم تكن مرتفعة، إذ يستطيع المشاهد أن يتنبأ بمعظم ما سيحدث لاحقا، لكن المخرج اجتهد في تقديم أجواء الرعب والإثارة من خلال الحركات السريعة للكاميرا واختيار زوايا تصوير يمكن من خلالها تحقيق الإثارة والفضول، والتعبير عن الاهتزاز والرعب النفسي عبر لقطات قريبة للممثلين.

ولأن تقديم فيلم رعب ناجح لا يقوم فقط على جودة المؤثرات أو الموسيقى، فإن الخلل في السيناريو وضعف الحوار والأداء التمثيلي الضعيف لبطل الفيلم أحمد الفيشاوي الذي جاء خاليا تقريبا من الانفعالات ومستندا إلى طبقة صوتية رتيبة لا تتغيّر، كل ذلك جعل الفيلم غير مقنع على مستوى قصة الرعب أو الإثارة النفسية.